الانتقاد على المنار

نطلب في أول جزء من كل مجلد من قراء المنار إتحافنا بما يرونه منتقدا فيه سواء كان بمخالفة الحق في بعض المسائل أو مخالفة المصلحة العامة التي تتوخاها في خدمتنا ، ونذكر في خاتمة آخر جزء من المجلد بذلك مشيرين الى مالم ننشره من النقد الشفوي أو غير الموجهة الى المنار

فنقول الآن في خاتمة هذا المجلد اننا قد نشرنا كل ما كتب الينا من النقد كالرد على مانقلناه عن ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى في مسألة فناء النار وعدمه والخلود فيها ومعناه ولم يهمل المنار شيئا في هذا الباب مما كتب اليه . وأما النوع الآخر من النقد فليس لدينا منه الا ماقاله بعض السوريين أو نشروه في بعض الجرائد ولم يرسلوه الى المنار في موضوع مقال (الحقائق الجلية في المسألة العربية) التي نشرت في الجزء السادس فقد استحسنها الجماهير في الاقطار الاسلامية المختلفة حتى ان محرر جريدة (بيغام) الهندية الاسلامية التي تصدر في (كلكته) كتب الينا بأنه ترجمها ونشرها في جريدتهم فنقلتها عنها « الجرائد الانكليزية الوطنية والهندية واستحسنها الناس كثيرا »

انتقد ساطع بك المصري في حديث دار بيننا وبينه مسألتين من المقالة وهو مطلع على ما جرى لانه كان وزير المعارف في الحكومة السورية ورسول الملك فيصل الى الجنرال غورو في أثناء المفاوضة بينهما في أمر الانذار المشهور (الاولى) قولنا في الصفحة ٤٦٩ : قبلت الحكومة برياسة الملك فيصل جميع مطالب الجنرال غورو ومنها قبول الوصاية بلا شرط ولا قيد فأصبحت بذلك ساقطة غير شرعية بقرار المؤتمر .. (والثانية) قولنا فيها أيضا : عظم الخطب على فيصل ووزرائه لما رأوا انهم سلموا بقبول الوصاية مع تلك الشروط المخزية ليدفعوا الاحتلال عن دمشق ويبقوا فيها متمتعين في ظل الوصاية وخدمتها بما كانوا عليه بعد ان قالوا في عدم قبولها ماقالوا من المبالغات فقال في الاولى ان الوصاية كانت مقيدة بقيود معلومة لاتخفى عليكم وفي الثانية : ان الوزراء وان قرروا قبول شروط الجنرال غورو لم يكونوا يحبون ان يبقوا في الوزارة لان الجنرال طلب فيما طلبه من فيصل تأليف حكومة موالية لفرنسة . وقد تناقشنا في المسألتين ورغبت اليه أن يكتب انتقاده كتابة لابين حقه من

باطله وأعترف له بما فيه من الحق فاني لا أكتب لغرض ولا هوى بل لبيان الحق وخدمة الامة فاذا ظهر لي ان فيما كتبت مايخالف ذلك اعترفت به ورجعت الى الصواب الذي أقتنع به . ولكنه لم يكتب

وجوابي عن المسألة الاولى ان الجنرال غورو هو الذي قيد الوصاية في انذاره بما عناه ساطع بك لا الحكومة السورية (الوزارة مع الملك) وهذه ترجمة الشرط أو الطلب الثالث من انذاره

« ٣ — قبول حق وصاية فرنسة على سورية بحيث تكون حرية البلاد مضمونة وبحيث لا يمس حق الوصاية المذكور ما للحكومة التي تنتخبها الامة من السلطة بل يكون محصوراً في المساعدة الودية خالياً من كل غرض استعماري »

وأما المسألة الثانية فالذي أعلمه فيها أن انذار الجنرال غورو لم يكن فيه طلب تغيير الوزارة وانما الشرط أو المطلب الخامس منه عقاب جميع الذين أظهروا العداء لفرنسة . وكان الجنرال يتهم الحكومة بأنها تساعد العصابات التي تناوئ الاحتلال الفرنسي كما بينه في بعض أجوبته عما كتبه اليه فيصل بعد قبول الانذار ولعل طلب تأليف حكومة موالية كان من المطالب التي تجددت بعد قبول الانذار وكان ساطع بك الحصري هو الرسول بين فيصل وغورو فيها

والذي علمناه من امر تلك الوزارة أن بعض أعضائها كان معدوداً من المعادين لفرنسة كالمرحوم يوسف العظمة والدكتور شاهبندر وبعضهم كان موالياً لها كعلاء الدين بك الدروبي الذي عينه فيصل رئيساً للوزارة الموالية بعد الاحتلال وأما الآخرون فلم نعرف عنهم عداء ولا ولاء لفرنسة

ثم كتب رجل من دروز لبنان اسمه الدكتور سعيد طليع كان من أعضاء المؤتمر السوري العام بدمشق مقالة رد بل هكم بمقال المنار ونشرها في جريدة الاهرام على إثر كلام أغضبه مني في الاسكندرية فان خطأ الذي تعمدت إهانته فيه سبقه غضبات كانت في دمشق بعضها في المؤتمر اذ تكرر أن منعته من الكلام في بعض المسائل منعاً قانونيا فكان أنني تعمدت التحامل وتقديم غيره عليه وكنت أعلن أنه نسيها لا نني وكدت له القول بأن ذلك كان من الاثم ، على أنه من شيعة الملك فيصل اذ لم يبلغني أن أحداً من أعضاء المؤتمر ذهب الى لقاء فيصل في اليوم الذي كان ينتظر أن يجيئه فيه جميع الاعضاء بمكتوبات خطية سرية يبينون فيها رأيهم في انذار الجنرال غورو لان الدعوة بيت ليلا وصباحا بان لا يكتب اليه

أحد . وقد جاءني الدكتور طليع هذا بعد عصر ذلك اليوم الموعود الى الدار بدمشق ـ وكان من أكثر الاعضاء مودة لي ـ وأخبرني أنه كان عند الملك وانه وجده مستاء جدا لانه كان منتظراً من أول النهار إقبال أعضاء المؤتمر عليه بما وعدوا من الكتابة اليه بآرائهم ولم يجيء أحد ولا الرئيس الذي كان يجيء في مثل هذا اليوم عادة (وهو يوم أحد) وقال الدكتور طليع إنه ينتظر ذهابك اليه فيحسن أن تذهب وتسليه ، فقلت حقا انني بعد اشتغالي برياسة المؤتمر قصرت زيارتي له على يومي الجمعة والاحد لعدم عقد الجلسات العامة فيهما (وكنت أزوره صباح كل يوم) ولكنني بعد أن رأيت منه ما رأيت من احتقار الامة عزمت على أن لا أزوره الا بدعوة رسمية ...

واذ نحن في الحديث جاءني رسوله يقول ان جلالة الملك ينتظرك فذهبت اليه فرأيته واجما مغموما وسألني ما بال أعضاء المؤتمر قد أخلفوا موعدي ولم يأتوني بآرائهم في الازمة الحاضرة مكتوبة وقد ظللت منتظرا لهم النهار بطوله ؟ فقلت إنني علمت منذ خرجنا من هنا انهم عازمون على عدم إجابة اقتراحكم الذي ساءهم جدا لانه عدوه متضمنا للطعن فيهم بالجبن والمداهنة للعامة فيما يبدونه في المؤتمر . قال لكنهم أظهروا استحسان الاقتراح وقبوله ، قلت ان الجمهور سكتوا واجمين وانما صفق واحد منهم للاقتراح ، ولما خرجوا صاروا يتناجون بينهم بأن هذه مكيدة يراد ايقاعهم بها ويتواصون بعدم الوقوع في شركها .

والظاهر أنه لم يذهب اليه الا الدكتور سعيد بك طليع وأنه لم يذهب اليه الا وقد كتب اليه ما يحب وهو إجابة الجنرال غورو بقبول إنذاره !!

لم يكن ما كتبه الدكتور طليع بالذي يستحق أن يعنى به ويرد عليه لانه دعاوى زور وإفك وبهتان اختلق ليبنى عليه ما يشفي غيظ الكاتب من التهكم والازراء ، ويتقرب به الى أولئك الملوك والامراء ، وليس نقداً صحيحاً ولا قصد به بيان حقيقة ولذلك نشر في جريدة يومية سياسية ولم يرسل الى المنار

واني مع ذلك قد رددت عليه ونشرت الرد في جريدة الاهرام لغرضين أهمهما إطلاع من لا يقرأ المنار من قراء الاهرام على حقيقة المسألة العربية التي يهتم جميع المسلمين وكثير من سائر الشعوب بأمرها ـ ولذلك نشرت مقالتنا جرائد الهند الاسلامية والانكليزية والوثنية ـ وثانيهما إعلام من فكر من قراء الاهرام بما افتراه الكاتب على المنار وقراء المنار في غنى عن ذلك

على انني أخلص تلك الدعاوي والاكاذيب فأقول (أولها) إنكار قد إنه لم يوجد في الامة العربية في فرصة هذه الحرب زعماء يجمعون كلم ويوحدون قواها لحفظ استقلالها كما وجد في الترك مصطفى كمال باشا وأنصا من كبار القواد والسياسيين ودعواه «أن الزعامة الطبيعية توفرت في جلالة الم حسين» الخ (ثانيها) افتراؤه علي بانني قلت انني أشرت على الملك حسين بأن يحار الاتحاديين وقد سبق للمنار ذكر هذه الفرية في الرد على جريدة القبلة من اد التاسع بعد الرد عليها في الاهرام منذ أشهر (ثالثها) عبارة كاذبة بنى عليها إستنت تصريح المنار بالرواية التي صرح بها بشأن امتناع الملك حسين من قبول مشر اتفاق امراء جزيرة العرب (رابعها) زعمه انني قلت كنت في دمشق ثاني الملك وصاح النفوذ الاعلى وانني كنت انصب الوزراء وأعزلهم — استنبط هذا مما ذ في مسألة المرحوم يوسف العظمة وجعله حقيقة واقعة لاجل التهكم الذي أر وقراء المنار يعلمون ما قلنا في ذلك (خامسها) قوله « ويقول أيضا أنه هو الذ أقنع المؤتمر السوري بأن يقلع عن فكرة وضع الحكومة بيد دكتاتور » وق المنار يعلمون أنني لم اقل هذا وانما قلت كان بعض الاعضاء يريد عدم امتث أمر الملك بتأجيل اجتماع المؤتمر فأقنعتهم بأن هذا خير للمؤتمر. وقد أوضح هذا في الاهرام ببيان أن بعض اعضاء المؤتمر طلبوا مني الاذن بالكلام والخط بعد تلاوة أمر الملك المذكور فلم آذن لاحد منهم ونزلت عن كرسي الريا تنفيذاً للامر وعدم جعله موضوعا للمناقشة . وان بعض هؤلاء كلموني غيرهم فيما كانوا يرون من عدم امتثال الامر فأقنعتهم بما ذكرت. وأزيد الا أنني لو سمحت لاعضاء المؤتمر بأن يتكلموا في موضوع الامر ويلقوا فيه الخط لكانت خطبهم أشد مما كانت في الجلسة السرية التي عقدوها قبل ذلك اذ التهييج والسخط على الحكومة والملك فيصل بالغين حد الافراط وكان الشع أشد تهيجاً وهو مستعد لاتباع كل ما يقرره المؤتمر ، واذاً لوقعت ثورة داخ تكون عاقبتها اتهام المؤتمر بأنه هو المضيع لاستقلال البلاد

(سادسها) الاحتجاج على ما وصفت به امراء مكة بأني أثنيت مرة الملك فيصل . وقد أفهم هذا الثناء بما يوهم أنه ثناء بالكفاءة للزعامة وإنقاذ الا العربية والحقيقة أن ما أشار اليه كان ردا على ثناء الملك على أعضاء المؤ باجابتهم دعوته الى مأدبة وبرمضان بأنه هو المحسن في الدعوة وفي التفكر على غير

فهو أحق بأن يثنى عليه ولو جل عن شكر النعيم محسن لأجللناه كما قال ابن الجهم

(سابعها) انكاره ما سماه دعوة للفرنسيس بأن لا يعادوا الامة العربية في بيت ملك الحجاز: وأنا ما دعوتهم الى ذلك دعوة كما زعم وانما بينت لهم خطأهم والخطب سهل (ثامنها) زعمه أنني قلت ان جلالة الملك حسين وافق على معاهدة سايكس وبيكو. واستدل على رد هذا بعدم تصديقه على معاهدة فرساي قال «لتضمنها المادة ٢٢ من عهد عصبة الامم» وقد رددت عليه في الاهرام، وقراء المنار يعلمون أنني لم أقل من عندي إنه صدق على معاهدة ١٩١٦ وانما رويت روايات فيها عمن سمعوا بآذانهم من السر مارك سايكس ورأوا بأعينهم كتاب جلالة الملك الى نجله الامير فيصل وأطلت في ذلك بما لا حاجة الى ذكره هنا لاننا نريد إقفال هذا الباب الآن لا كثرة الدخول فيه والخروج منه

علاقتنا بأسرة ملك الحجاز

وليعلم القراء أنني لم اكتب قط كتابة من شأنها أن يسوء الحق فيها احداً من الناس ويؤلمه وأنا متألم وخجل من مساءته كالذي كتبته في المسألة العربية عالما بأنه يؤلم الملك حسينا واولاده لانني عرفت منهم الامير عبد الله أولا والامير زيدا والامير فالملك فيصل اخيراً ووالدهم فيما بين ذلك فلم أشك من معاملتهم لي قولا ولا فعلا بل كنت معجباً أشد الاعجاب بآدابهم العالية وقد اكرم مثواي الكبير في الحجاز وأضافني هم من كان معي من نساء ورجال أحسن الضيافة كما يعلم من تنويهي به وشكري له في رحلة الحجاز من المنار، واني لا أعلم أن منع المنار بتلك العبارة الخشنة قد كان بدسيسة

وكان يسهل علي تلافي ذلك كما اقترح علي بعض رجال الانكليز هنا، ولكنني قد بررت بذلك المنع لانني كنت قد علمت أن الامر جار على ما ينافي مصلحة العرب والاسلام، وقد كنت صرحت له عند توديعي اياه بحجرته في الحرم الشريف بأنني لا أعمل الا ما أعتقد أنه لمصلحة الملة والامة فما دمت أعتقد أن الحركة العربية كذلك فأنا أخدم فيها كالجندي — قلت هذا بعد أن تاملت كل التلطف في الثناء وولاء المساعدة كما أشرت الى ذلك في الرحلة حتى كان من تواضعه ولطفه بعد ذكر خدمة المنار للاسلام أن قال في جملة ما قاله أنه أعلم منا بكل شيء فنحن نحتاج الى علمه وسعة اختباره باقامته بمصر كل هذه السنين في كل عمل يريده في حكومتنا ... وفصل ذلك تفصيلا أحسني

وعرفت الامير عبد الله في الآستانة وكان أول كلامي معه تعريضا شديدا بأمرائنا قابله قبله بغاية اللطف والادب ثم ذكر اجتماعي به وأترك وصف تواضعه معي اقتداء بادبه في التواضع .

وأما فيصل فكان أول لقائي إياه وحديثي معه في بيروت بعد عودته الثانية من أوربة حيث كان له ما يعلم الناس من علو المكانة . طلبت الخلوة به على ضيق الوقت فسمح بها ليلا فكان اول حديثي معه في السياسة بعد مجاملات اللقاء أن ذكرت له بالاختصار رأيي في ثورتهم ومنارها من مبدئها إذ بنيت على الاتكال على الاجنبي لا الاستقلال الصحيح ولا جم الكلمة الى ما كان لها من سوء العاقبة وأسباب ذلك — فلما وافقني على رأيي في سوء النتيجة والمقدمات ، قلت له انني أرجو أن تكونوا قد استفدتم بالاختبار ما ينهض بهمتكم الى تلافي هذه الاخطار ، ولذلك طلبت الخلوة بكم لاقف على خطتكم الجديدة فان وافقت رأيي كنت مساعداً لها على قدر طاقتي ، والا كنت مقاوماً لها على ضعفي ، ولا أراكم تستكبرون مني كلمة المقاومة لانني لست اميراً فقد قاومت السياسة الحميدية على عظمتها وخضوع الرقاب لها ولم اكن أميراً ، وقاومت السياسة الاتحادية على قوتها وجبروتها واغتيالها لخصومها ولم اكن أميراً . فقابل قولي — على خشونته — الذي أوجبته المصلحة والاخلاص في النصيحة باللطف والثناء والرجاء في التعاون والاتفاق ، ثم انه ألح علي بالذهاب معه الى الشام لاجل التعاون على العمل فوعدته بأن أتبعه ووفيت ، وكنت قبل الاشتغال بالمؤتمر اول مرة يخلو به صبيحة كل يوم للحديث والتشاور في المسألة السورية والمسألة العربية وقد بينت له رأيي فيما يجب من العمل في المسألة العربية قولا ثم كتابة فاستحسن جدا الاستحسان ووعد بأن يفرغ ما في وسعه في سبيله . ولو كنت ممن يسعون الى أخذ المال والتحف لكنت أقدر على استدرار تلك الكف الواكفة كالسحاب بغير حساب ، ولا تفرقة بين المستحق وغيره من الصفاة والطلاب ، واذكان يعلم أنني لا أطلب ولا أقبل عطاء زين له جوده ان يحتال لتقديم هدية يخلق لها مناسبة فألح علي بأن أستأجر دارا لان طول الاقامة في الفندق غير لائق وقال سرارا عليك الدار وعلينا فرشها فاستأجرت دارا واستحضرت لها فرشا من بلد (طرابلس الشام) بعد أن بلغته بنفسي وبعدة وسائط منها رئيس امنائه احسان بك الجابري عدم القبول . وقد اختلفنا غير مرة في المسائل السورية حتى تعاصينا وكاد

كل منا سريع النسيان لا نلبث أن نعود الى ما كنا عليه من صفاء المعاشرة التي كان يقضي فيها ويفضل اكثر الناس أدبا ولطفا وتواضعا حتى كان الخلاف الاخير الذي انتهى بمقاطعتي له بعد تعطيل المؤتمر ، على انني لما علمت أن الفرنسيس آذنوه بوجوب الخروج من دمشق لم أر بدا من توديعه وقد أعرض عنه المتملقون فكنت آخر من ودعه ليلا على قلتهم ، وأفضل ما أذكره له من ولاء بعد جفاء أنه كاشفني بكل ما في نفسه وما ينويه من سعي وعمل ، فقلت له يا مولاي ان مثل هذا لا يجوز أن يتحدث به ، فقال اني والله لم أذكره لاحد سواك ولا لاخي زيد ! أفليست هذه الثقة منة يجب أن أحدها له ان لم يمدها أو يعنها هو علي ؟ بلى ولاجلها لقيته وكررت الزيارة اذ جاء مصر عائدا من أوربة راجيا أن استفيد نبأ منه ، وأتوصل الى ما يجب من النصيحة له ، فلم أسمع نبأ يبعث الارتياح في مصلحتنا العامة ، وصرح لي بأنه سيطلبني الى العراق للعمل معه ، ولو كنت أعمل للمنفعة الشخصية كما يعمل الكثيرون لكانت مجاراة الملك فيصل في ظل بريطانية العظمى أوسع أبوابها لدي هنالك بعد ان قال لي غير مرة بدمشق إنه يعدني حجر الزاوية في كل ما يتمنى من خدمة العرب والاسلام ، ولكنني أعتقد أنه لن يستطيع أن يعمل هو ولا غيره مع السيطرة البريطانية شيئا إلا لها ، ولدي من العلم الذي استفدته في ٢٤ سنة بمصر ما ليس عنده ولا عند أحد من آله وصحبه ، والمسألة المصرية حجة بالغة ولم تبق خفية على أحد

وجملة القول ان علاقتي بهذه الاسرة علاقة مودة واحترام حتى ان الملك الكبير على شممه وعلو نفسه كان إذا ذكر لي أحد أنجاله الكرام قولا أو كتابة يقول « أحد أولادكم » وكنت من أقدر الناس على الانتفاع منهم لو كنت طالب منفعة شخصية ، وعلى الخدمة للامة معهم لو سلكوا لها سبيلها ، أفلا أكون خليقا بالخجل الطبيعي من الظن بخطتهم وسيرهم ؟ بلى والله وان كان لبعض مقاصدي بها ، امكان استفادتهم منها ، والمصلحة العامة هي التي يرتكب في سبيلها كل صعب ، ويستسهل كل خطب ، وما أنا بآمن على نفسي من الضرر ، الذي لا أعد منه ما كان من طعن وهذر ، وإنما كتبت بعض ما أعلم بالاختصار ، عند العلم بنجاح المكيدة البريطانية للعرب بحكومة العراق التي يغتر بها الاغرار ، ويستغلها عبدة الدينار ، لاعتقادي انه واجب علي شرعا ووطنية . وقد ظهر انني لو لم أقم بهذه النصيحة الواجبة لما قام بها أحد ، ولكان ذلك خزيا وعارا على جميع العرب ، ونعوذ بالله من سوء المنقلب